الفصل السابع

موقف إليوت كناقد بالنسبة للتيارات الأوربية والأمريكية المعاصرة فى النقد

لقد تقدم النقد فى فرنسا فى أوائل القرن التاسع عشر على يد شاتوبريان[١] الذى وضع بذور الاتجاه القائم على التحليل السيكولوجى . ويمكننا اعتبار مدرسة كمبريدج التحليلية فى إنجلترا امتداداً أو صدى لهذه الأسس الأولى التى ظهرت فى فرنسا فى القرن الماضى . ومن ثم ترعرعت هذه البذور الأولى على يد سانت بيف[٢] الذى يعتبره جمهرة النقاد مؤسسا لمدرسة النقد الحديثة فى فرنسا . وهو يتفق مع أليوت فى بعض مناهجه إذ أنه يرى أن وظيفة الناقد هى إيضاح النصوص الغامضة ووضع الحقائق جلية واضحة أمام أعين القراء حتى يتمكنوا من تذوق النصوص الأدبية وبالتالى تقييمها على أسس سليمة . وتعرض أيضا لبعض كتاب الأدب كما ذهب إليوت فيما بعد ، ولكل منهما آراءه السديدة فى الأدبين الفرنسى والإنجليزى . إن سانت بيف لم يهتم بكتابة تاريخ للأدب بقدر اهتمامه بعرض بعض الحقائق الفلسفية التى ترتبط بالأدب ، وهذا هو نفس المنهاج الذى ذهب إليه إليوت حينما تعرض لشعر دانتى والشعراء الميتافيزيقيين . وقد أوضح لنا هذا الكاتب الفرنسى ذلك المنهاج فى كتابه الذى أطلق عليه اسم « أيام الاثنين »[٣] .

وفى أواخر القرن الماضى بعد أن تبلورت الحركة الانطباعية[٤] فى فرنسا على أيادى أناتول فرانس[٥] وجول لمتر[٦] وريمى دى جورمون[٧] ، تبدأ مرحلة

(١) Chateaubriaud.
(٢) Sainte-Beure.
(٣) "Les Lundis".
(٤) Impressionism.
(٥) Anatole France.
(٦) Jules Lemaître.
(٧) Rémy de Gourmont.

التعارض بين إليوت وبين هذا الاتجاه الجديد الذى كرس إليوت كل مجهوداته لدحضه وبخاصة بعد أن رسخ بنيانه فى العصر الحاضر . فلقد بذل جهوداً موفقة لتحطيم البنيان من أساسه ليقيم مكانه صُرحا كلاسيكية قد شيدت على دعائم علمية . وكان رائده فى هذا المضمار هو الاتجاه الموضوعى الذى سما به إليوت إلى القمة النقدية ، فتبلورت على يديه كل مقوماته وعناصره . وعلى هدى هذا المنهاج الذى دار كوكبه فى فلك التقاليد استطاع إليوت أن يعيد تقييم الأدب الأوربى عامة والإنجليزى على وجه التخصيص . فعقد المقارنات بين الآداب والفنون المختلفة وخرج من هذه الموازنات بنتائج قيمة أفادت النقد الأدبى أيما فائدة ، اذ وجه الأنظار إلى قيمة المدرسة الميتافيزيقية فى الشعر ،وعظمة دانتى الفلسفية والشعرية ، وبراعة كل من درايدن وبوب النقدية. كما هاجم النقد الرومانسى الذى تمخضت عنه الحركة الانطباعية فى الأدب والفن . اذ أن مثل هذا النقد يقوم على العاطفة الفردية والانطباعات الشخصية . وهذه الانطباعات فى أغلب الأحيان غامضة يعوزها المنهاج العلمى ، فهى كثيراً ما تخفى فى ثناياها ميولاً وأهواء لا تمت للإنتاج الفنى بأدنى صلة . ومن هنا بدت لنا مفككة بل ومتناثرة فى غير ترابط أو هدف يجمعها .

وعلى أية حال فإن اتجاهات الحركة النقدية فى فرنسا قد تركزت فى « المجلة الفرنسية الجديدة »[١] التى تأسست سنة ١٩٠٩ . وبمضى الأيام أصبحت صدى قويا لتيارات النقد هناك . وظهرت أبحاث قيمة على صفحاتها لكبار الكتاب أمثال كلوديل وفاليرى وبراوست . ومع أنها عارضت الحركة الرمزية التى احتضنها إليوت إلا أنها فى العشرينات والثلاثينات من هذا القرن أفسحت جزءاً كبيراً من صفحاتها للتعبير عن الحركة السيريالية[٢] التى نمت وترعرعت فى ذلك الوقت فى فرنسا على يد أندرى بريتون[٣] . وفى الأربعينات عالجت مشا كل الوجودية[٤]

(١) "La Nouvelle Revue Française".
(٢) Surrealism.
(٣) André Breton.
(٤) Existentialism.

التى وطد دعائمها جان بول سارتر[١] . كما تطرقت أبحاثها أيضا إلى نقد وتحليل الإنتاج الفنى لكتاب أوربا أمثال تولستوى وتشيكوف وجوزيف كونراد وجيمس جويس وبيراندللو ، فأصبحت بذلك موسوعة نقدية غير مقصورة على اتجاهات النقد فى فرنسا به تعدته الى المحيط الأوربى فأصبحت لسان حاله الذى يفصح عن الاتجاهات النقدية الأوربية .

وفى ثنايا هذه النهضة النقدية فى فرنسا يظهر لنا ناقد فذ يتفق مع إليوت فى معظم خصائصه وهو جان بولان[٢] ، وهو يكبر إليوت بأربع سنوات . فلقد هاجم على صفحات المجلة السالفة الذكر اتجاهات الأدب الفرنسى المعاصر ، وركز كل اهتمامه حول دراسة النصوص الأدبية وأساليبها اللغوية. وحمل حملة شعواء على صغار الكتاب الذين أقحموا أنفسهم فى ميادين الفلسفة والأخلاق وبهذا ظهرت آراؤهم الأدبية والفكرية عقيمة تعوزها الأصالة والعمق . وحاول أن ينقذ الأدب من براثن الأفكار المختلطة الجديدة التى زجت نفسها فى محيطه بقدر ما دعا الى التعمق فى البحث ، وهذا مما ينعكس حتماً على تقييم الأعمال الفنية .

وفى أمريكا كوّن بعض النقاد البارزين أمثال جون كرورانسوم[٣] وألن تيت[٤] وروبرت وارين[٥] وكلينث بروكس[٦] ودونالد دافيدسون[٧] ما يعرف باسم المدرسة الجنوبية فى النقد[٨] . وتمتاز هذه المدرسة بالوحدة والتعاون بين أفرادها فى مجال النقد ، وهى لهذا تتميز عن غيرها من النقاد الذين لم يختلطوا بغيرهم ، فلم تكن هناك فرصة مواتية لاحتكاك الآراء وتفاعلها . وهذا الاتجاه

---

(١) Jean-Paul Sartre.
(٢) Jean Paulhan.
(٣) John Crowe Ransom.
(٤) Allen Tate.
(٥) Robert Warren.
(٦) Cleanth Brooks.
(٧) Donald Davidson.
(٨) The Southern School of Criticism.

الأخير ينطبق على الاتجاهات النقدية عند إزرا باوند[١] ووينـدام لويس[٢] و ت . س . إليوت نفسه .

ومع أن هذا هو الاتجاه السائد عن آراء أليوت فى النقد ، وهو أنه لم يتأثر كثيراً بغيره ، إلا أن عناصر الخلق والإبداع التى تتضمنها آراؤه كفيلة بالوقوف على قدميها دون حاجة الى الاستناد إلى غيرها . وقد نلحظ أحيانا أثر إزرا باوند على اتجاهات أليوت النقدية ، لكنه أثر محدود على وجه العموم . فلقد سلك إليوت نفس الاتجاه الذى ذهب إليه باوند فى مقارنة النصوص الأدبية وفى إلمام الناقد بالتيارات الفكرية المعاصرة ليتيسر له وضع النصوص المراد تقييمها فى أماكنها الملائمة لها .

وقد اعترف إليوت بتوجيهات باوند وإن كانت لا تعدو أن تكون بضعة إرشادات عابرة وذلك فى إهداء قصيدته المشهورة « الأرض الخراب » إليه . وفى «مجلة الشعر» فى عددها الصادر فى سبتمبر سنة ١٩٤٦ كتب عن أشعار باوند يقول : « لا يمكننى أن أجد إنسانا على وجه الأرض قد كتب أشعاراً كهذه » .

وعلى أية حال فلقد لعبت المجلات الأدبية شوطاً مرموقاً فى ميدان النقد فى أمريكا إذ أفسحت المجال لنقاد الجنوب أن يعبروا عن آرائهم الأدبية . وهذه المجلات لها قيمتها فى مجال النقد الأدبى وهى « سذيرن رڤيو »[٣] التى ظهرت سنة ١٩٣٥ و« كنيون رڤيو »[٤] التى ظهرت سنة ١٩٣٩ و« سوانى رڤيو »[٥] سنة ١٩٤٤ .

وقد تزعم رانسوم جماعة النقاد السالفة الذكر ، وهو رجل معروف بسعة اطلاعه وعلمه ، ويتفق مع إليوت فى فكرته عن التقاليد وفى تقييمه للمدرسة الميتافيزيقية فى الشعر وفى احيائه لجون درايدن . إلا أنه يختلف اختلافاً بيناً عن إليوت فى محاولاته لبعث تراث ملتون الذى اتهمه إليوت بالافتعال والبريق

---

(١) Ezra Pound.
(٢) Wyndham Lewis.
(٣) "Southern Review".
(٤) "Kenyon Review".
(٥) "Sewanee Review".

الخارجى . وقد بنى رانسوم منهاجه فى النقد على أساس الدراسة التفصيلية للنسق الشعرى وصلته بتسلسل الأفكار ووضوحها . وهو يهدف إلى الوصول إلى القضايا المنطقية التى يسوقها إلينا الشاعر فى أبياته معتمداً فى ذلك اعتماداً كلياً على التركيب اللغوى للنصوص الأدبية . ومع أن هذا الاتجاه قد يبدو فى مظهره قريب الشبه من مدرسة كمبريدج التحليلية فى النقد، وهى التى تزعمها الدكتور رتشاردز ؛ إلا أن هذه المدرسة لا تهتم كثيراً بالتسلسل المنطقى للأفكار المتضمنة فى النصوص الأدبية بقدر ما ركزت جهودها حول دراسة النواحى النفسية المصاحبة للنصوص الجيدة من راحة ورضى وتوازن سيكولوجى وعقلى .

أما العضو العامل فى هذه الجماعة فهو كلينث بروكس وهو أكثر أفرادها تأثراً بالاتجاهات النقدية عند إليوت . ولعلنا لا نعدو الحقيقة إن قلنا إن بروكس هو الذى أخذ على عاتقه تطبيق الاتجاهات الفكرية لهذه الجماعة على محيط الأدب الإنجليزى . فلقد كتب عام ١٩٣٩ كتابا عن « الشعر الحديث والتقاليد »[1] وفيه اتبع نفس المنهاج الذى ذهب إليه إليوت فى تقييم الأدب وبخاصة فى مضمار الشعر . وهو معروف بدقة ملاحظته وفطنته وقوة حافظته وبصيرته العميقة النفاذة إلى الأعماق . ولهذا كان لآرائه النقدية صدى عميق فى نفوس القراء . فلقد كتب كثيراً لإيضاح آراء إليوت وأشعاره . هذا إلى أنه تعرض أيضاً للدكتور جونسون الناقد الإنجليزى فى القرن الثامن عشر ، كما تعرض أيضاً لتوماس هاردى الكاتب الإنجليزى ويبتس الشاعر الأيرلندى وغيرهم أمثال بوب وجراى ووردزورث وكيتس وتنيسون . ونجد بروكس يبذل قصارى جهده فى علاج إنتاج هؤلاء الكتاب لإظهار مواضع السخرية والمجاء فيه . كما أفسح المجال أيضا لتبيان مواطن الغموض والأسباب المؤدية له وما يترتب على ذلك من لبس وارتباك . ولدراساته عن الرمزية أثرها العميق فى إيضاح الاتجاهات الأدبية التى تعرض لها فى العصر الحديث .

---

(١) Cleanth Brooks's "Modern Poetry and the Tradition".